احتاج الفراعنة إلى تدوين أفكارهم خوفا عليها من الاندثار، فتضيع الفائدة من استمرار المعرفة، ولما كان الفكر في بداياته الأولى مسخراً للدين والعقيدة، بدا طبيعيا أن تتخذ الكتابة صبغة مقدسة، فكانت الكتابات الدينية تكتب باللغة الهيروغليفية، وهي تعني النقش أو الحفر المقدس، وقد ظلت تلك اللغة لغةً لقدماء المصريين في الدولتين القديمة (3200/2240 ق. م) والوسطى (2240/ 1740ق. م).

ويرجع أقدم نصوصها إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. واستمر استخدام هذه اللغة إلى الدولة الحديثة (أي حوالي ألفين قبل الميلاد).

ويمكن تقسيم الهيروغليفية إلى فئتين: أيدوجرامية (IDEOGRAMIC) وهي رموز تدل على رسم الكلمات، وفونوجرامية (PHONOGRAMIC) تدل على الأصوات، باستخدام رموز تدل على تعيين المعنى. وقد اتخذت تلك الأخيرة أساسا للأبجدية الهيروغليفية التي بلغ عدد حروفها (700) حرفاً.

يرجع الفضل في معرفة أسرار الكتابة الهيروغليفية إلى اكتشاف حجر رشيد، وهو حجر نقش عليه نصوص هيروغليفية وديموطيقية ويونانية، وكان مفتاح حل لغز الكتابة الهروغليفية، سُمي بحجر رشيد لأنه اكتشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط، اكتشفه ضابط فرنسي في 19 يوليو عام 1799م إبان الحملة الفرنسية أثناء حفره لبعض الخنادق الدفاعية، وقد نقش عام 196 ق. م، وهذا الحجر عبارة عن مرسوم ملكي صدر في مدينة منف عام 196 ق. م. وقد أصدره الكهان تخليداً لذكرى بطليموس الخامس، وعليه ثلاث لغات الهيروغليفية والديموطقية (القبطية ويقصد بها اللغة الحديثة لقدماء المصريين) والإغريقية، وكان وقت اكتشافه لغزاً لغوياً لا يُفسر منذ مئات السنين، لأن اللغات الثلاثة كانت وقتها من اللغات الميتة، حتى جاء العالم الفرنسي جيان فرانسوا شامبليون وفسر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص اليوناني ونصوص هيروغليفية أخرى، وكانت الهيروغليفية اللغة الدينية المقدسة متداولة في المعابد، واللغة الديموطيقية كانت لغة الكتابة الشعبية (العامية المصرية)، واليونانية القديمة كانت لغة الحكام الإغريق، وكان قد ترجم إلى اللغة اليونانية لكي يفهموه. وكان محتوى الكتابة تمجيدا لفرعون مصر وإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر، وقد كتبه الكهنة ليقرأه العامة والخاصة من كبار المصريين والطبقة الحاكمة.